سمات النظرية اللغوية
في الموروث العربي

أ.د. حسن منديل حسن العكيلي

كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

aligeali@gmail.com

الخلاصة:

يتناول البحث سمات النظرية اللغوية عند العرب. ويحاول الاجابة عن أمرين: هل تحقق في تراثنا اللغوي الممتد عبر عشرات القرون، والمتأثر بمختلف النزعات الفلسفية والفكرية والمذهبية؟ ما نطلق عليه: نظرية؟ على غرار النظريات اللغوية العلمية الحديثة. وهل تنطبق سمات النظرية العلمية الحديثة على تراثنا اللغوي؟ وما فرضياتها واجراءاتها وغير ذلك ...

Features of linguistic theory in the Arab heritage

Prof. Hassan Mendeel Hassan

University of Bagdad

College Education for Women

Department of Arabic Language / Iraq Baghdad

aligeali@uobaghdad.edu.iq

Abstract

The research deals with the features of linguistic theory among the Arabs. And it tries to answer two things: Has it been investigated in our linguistic heritage that extends over tens of centuries, and is affected by various philosophical, intellectual and sectarian tendencies? What we call: theory? Similar to modern scientific linguistic theories. Do the features of modern scientific theory apply to our linguistic heritage? What .are its assumptions, procedures, etc

المقدمة:

إن من أبرز ما يميز عصرنا عن غيره من العصور بناء النظريات العلمية والاتجاهات والمذاهب على أساس من نتائج البحوث العلمية والدراسات.

وإن البحث العلمي فى طبيعة اللغة العربية، وأساليب وصفها وتحليلها قد سبق عصرنا بعدة قرون. فعلماء العربية قد وصفوها وصفا دقيقا ووضعوا قواعدها الأساسية، بعدما جمعوا مادتها العلمية من الناطقين بها فى عصور الفصاحة. وسبقوا فى استنباط كثير من قواعد اللغة العربية ومعرفة اسرارها تنظيرا وتطبيقا وأسسوا مناهجها فى البحث اللغوي، وأسهموا في وضع النظريات اللغوية.

وعلى الرغم من أن ثمة تحفظ على صياغة نظرية عامة تستوعب تراثا لغويا غنيا متنوعا متشعبا يمتد أربعة عشر قرنا. على غرار النظريات العلمية الحديثة، الا أن الدارس للتراث اللغوي العربي، يقف على نظريات لغوية فرعية واضحة، قدمها علماء اللغة العربية في مستويات اللغوية المختلفة: الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي أهمها: نظرية العامل ونظرية المعنى ونظرية النظم ونظرية الأصل الفرع ونظريات في علم الأصوات والصرف.

لقد توزعت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، فضلا عن التمهيد والخاتمة. تناول التمهيد مفهوم النظرية لغة واصطلاحا، وقد تناول المبحث الأول: مفاهيم النظرية وتأريخها، والمبحث الثانى: النظرية اللغوية العربية، وتناول المبحث الثالث: سمات النظرية اللغوية العامة فى التراث العربي. وفي الخاتمة أوجزت فيها خلاصة البحث وما توصل اليه من نتائج.

ومن الله التوفيق والسداد. والحمد لله رب العالمين...

تمهيد:

مفهوم النظريّة لغة واصطلاحاً[1]:

النظرية لغة:

إنّ لفظ (نظرية) مشتق من الكلمة الثلاثيّة (نَظَرَ)، من النظَر ويدلّ أيضا على التأمل العقلي والتفكير. ونظرت إليه: لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب([2]). يقال:

بَحْثٌ نَظَرِيٌّ: بَحْثٌ قَائِمٌ عَلَى إِعْمَالِ الفِكْرِ وَالتَّأَمُّلِ دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّةٌ.

نَظَرِيّاً: اِفْتِرَاضِيّاً مِنَ الوِجْهَةِ النَّظَرِيَّةِ.

علم نظريّ: علم يُعنى بوضع النظريّات الجديدة على أساس المعرفة القائمة دون تجريب، ويقابله العلم التجريبيّ.

وعلومٌ نظريّة: قلَّ أَن تَعتمِد على التجارب العملية ووسائلها([3]).

أمّا اصطلاحاً: فالنظريّة:

هي مجموعه من الفروض التي يقدمها العلماء يراد بها شرح الظواهر الذهنية او العقلية المتماسكة في استنباطهم للأنظمة التي يدرسونها [4]. أو هي قواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ ظاهرة ما، والتي يتم معرفتها باستخدام الأساليب العلمية، والتي تختبر مراراً وتكراراً ويتم

---

[1] - ينظر: تعريف و معنى النظريات في معجم المعاني الجامع ، موقع المعاني -https://www.almaany.com/ar/dict/ar . وموقع موضوع.كوم: https://mawdoo3.com/ .

[2] - لسان العرب : 4466/1.

[3] - التعريفات: 382.

4 - ينظر : النظرية اللغوية في التراث العربي 17 .

تأكيدها باستخدام الملاحظة والتجربة. وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تسهمُ في بناءِ فكر جديد. أما المعجم الفلسفي" لالاند فيعرفها بأنها "إنشاء تأملي للفكر يربط نتائج بمبادئ"، وأنها تركيب كلي يسعى إلى تفسير عدد من الظواهر ويسلم بها كفرضية تحتمل التصديق أو التكذيب5.

فالنظرية: مجموعة من المفاهيم والتعريفات والاقتراحات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديدها للعلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بالظاهرة، وذلك بغية تفسير تلك الظاهرة أو التنبؤ بها مستقبلا6.

المبحث الأول
مفاهيم النظرية وتأريخها:

الهدف من النظرية العلمية:

يستخدم العلماء النظريات العلمية كأساس لاكتساب المعرفة، ومن أجل تحقيق أهداف مثل اختراع التكنولوجيا أو تطور العلوم. كما أن النظرية تعمل على جعل الحقيقة منطقية مصاغة في سياق مرتب ومنظم. ومن هنا يمكننا القول بأن النظرية هي ممارسة عملية دقيقة بعيدة عن العشوائية مادام البحث العلمي في غياب النظرية هو بحث أعمى7. ويُمكن تطوير النظريات أو تعديلها بفضل جمع المزيد مع المعلومات بحيث تزداد دقة تنبؤها بمرور الزمن.

والنظريات العلمية هي الشكل الأكثر موثوقية، ودقة، وشمولاً للمعرفة العلمية. ويمكن النظر للنظرية العلمية باعتبارها أحد النماذج التي تصف الواقع، كما يمكن النظر لعباراتها كمسلمات تنتمي لنظام مسلمات (أو بديهيات) معين8.

ونرى أن النظرية هي عبارة عن "نموذج للواقع" يشرح بعض الحقائق العلمية المعينة؛ إلا أنها قد لا تعطي رغم ذلك صورة مرضية عن الواقع. فقد تنشأ نظرية أخرى أكثر مقبولية تحل محل النموذج السابق.

الفرضية العلمية9**:**

تبدأ كل نظرية علمية كفرضية، والفرضية العلمية هي الحل المقترح لحدوث أي ظاهرة لا تفسير لها ولا تتوافق مع الحقائق، ومن هنا يمكن تعريف الفرضية العلمية بأنّها كل فكرة لم يتم التوصل إلى إثبات حقيقتها أو نفيها، يتبعها الخروج بفرضيات جديدة حتى يتم التوصل إلى المعلومة العلمية الصحيحة التي تنشأ من جمع الأدلة الكافية والتوصل إلى النتائج المناسبة التي تدعم الفرضية، وكل هذا يثبت في التجربة العلمية، وقد تتغير الفرضيات، أو قد تتغير طريقة تفسيرها، لكن الحقائق نفسها لا تتغير.

ويمكن التوصل إلى النظرية العلمية عن طريق مجموعة من الفرضيات، إذ يتم اختبار كل فرضية لوحدها بعيدًا عن الأخرى للتوصل للفرضية الصحيحة التي ستوصل إلى النظرية العلمية المرجوة، ويمكن تطوير النظرية العلمية مع جمع المزيد من الأدلة والمعلومات بحيث تصبح أكثر دقة. حتى تصبح النظرية قانونا بعد اثباتها بالأدلة القاطعة.

التجربة العلمية: 10.

هي الطريقة التي يستخدمها الباحث لاستكشاف النظريات العلمية وذلك عن طريق جمع البيانات وتحليلها وفرض الفرضيات واختبارها إذا كانت صحيحة أو لا، وإذا كانت تتوافق أو

---

[5] - بسام عبد الرحمن المشاقبة : نظريات الإعلام ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2100 ، ص 97.

[6] - موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية ،ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2116 ، ص 45.

[7] - البحث العلمي في الاتصال، لارامي وفالي، ترجمة ميلود سفاري وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة ، ط 2 ، الجزائر، 2117 . ص 160.

[8] - ويكيبيديا

[9] - موقع سطور.كوم: https://sotor.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A

[10] - المصدر نفسه.

تتعارض مع النتائج السابقة، وبناء على النتائج الجديدة تبقى النظرية كما هي أو تتطور إلى نظرية جديدة.

ومن الاعتقادات الخاطئة الشائعة أن النظريات العلمية هي أفكار ابتدائية ستستقر في النهاية في صورة قوانين علمية بعدما تتوافر البيانات والدلائل الكافية عليها. ولكن النظريات لا تتحول إلى قوانين علمية لمجرد تراكم أدلة جديدة أو أدلة أفضل. فالنظرية ستظل نظرية دائمًا، والقانون سيظل قانوناً دائمًا[11].

تاريخ مفهوم النظريّة:

استُخْدِمَ مفهوم النظريّة للمرة الأولى في الفلسفة اليونانيّة للإشارة إلى المُصطلحات والمفاهيم التي تخالفُ التطبيقات العمليّة الواقعيّة، والنظرية خلاف التجريب... وعدّ الفيلسوف اليونانيّ أرسطو أولَ مَنْ اعتمدَ على تطبيق فكرة النظريّة للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعليّاً والنظريات الفكريّة، ثمّ أصبح مصطلح النظريّة من المُصطلحات المعرفيّة التي تُستعمل في العديدِ مِن المجالات سواء الفلسفيّة، أو العلميّة أو غيرها.

في القرن السادس عشر للميلاد أصبح مفهوم النظريّة أكثر استعمالاً للدلالةِ على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدتْ على مصادر ومراجع موثوقة، وقابلة للتحليل والتفسير، والتي مِن الممكن تطبيقها ضمن المجال الخاص بها، وأسهمتْ في تحقيقِ إضافة متطورة إلى المجالات الدراسيّة، وهكذا أصبحتْ النظريّات جُزءاً مهماً من الدراسات الإنسانيّة، والعلميّة، والطبيّة، والأدبيّة، والفلسفيّة، والتي دُرّست في العديد من المدارس والجامعات. والنظريات منتشرة في كل العلوم بلا استثناء: العلوم الانسانية والصرفة كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك وغيرها والنظريّة الفلسفيّة: وهي أقدم النظريّات إذ حرصَ الفلاسفة في العصر اليونانيّ على وضع النظريات التي تُقدمُ الدعم لآرائهم الفلسفيّة. ونظريّات علم الطبيعة: والنظريات السياسيّة[12]. وكذلك النظريات الاجتماعية. والنفسية واللغوية...وعلى الرغم من تعدد العلوم لكن النظرية واحدة يمكن توظيفها في كل الحقول العلمية سواء منها العلوم الصرفة أو العلوم الانسانية أو الاجتماعية. ومنها علوم اللغة والآداب تخصصنا. فهي منهج علمي حديث وشرط من شروط رصانة الدراسات واستقامة النتائج.

ولكل نظرية مجالها وشروطها وموضوعها ومجال النظرية اللغوية اللغة واستعمالها ونظامها ولكل لغة نظام تتسم به، والمستعمل من اللغة وهو ما يتصل بالتراكيب اللغوية من نحو وصرف ودلالة والنظام الذي يربط اجزائها، اما شروط النظرية اللغوية فالعموم والبساطة والاقتصاد والاتساق العام والكفاية في وصف اللغات[(13)]. فالنظرية اللغوية هي مفاهيم لغوية مأخوذة من المفاهيم اللغوية لعلمائنا الاولين.

فقد تسابقت العلوم الاجتماعية إلى الإفادة من مناهج العلم وبخاصة في التجريب. وعلم اللغة هو أشهر العلوم التي استطاع أن يؤسس «نظرية» علمية متناسقة، «بمصطلحات» قوية، و«إجراءات» منتظمة في البحث. بل إن كثيراً من العلوم الاجتماعية استلهم أصول النظرية اللغوية أو بعض إجراءاتها[14]. وقد بدأت النظرية اللغوية التي تتصف بالعلمية لدى دي سويسر، وظلت تنمو وتتغير إلى يومنا هذا، وأهم نظريات الآن نظريتان واضحتان متمايزتان: النظرية البنيوية. والنظرية التحويلية التوليدية. ولا بد من تناولهما بايجاز لفهم أكثر لطبيعة النظرية اللغوية الحديثة. ولعل أهم ما جاء به شومسكي أنه أعاد علم اللغة إلى الفلسفة والمنطق، أي إنه أعاده إلى «العقل» وهو يرى أن وصف «الأشكال» اللغوية في وضعها «الظاهر» لنا لا يقدم «علما»، ثم إن الوصف المحض للظواهر دون تفسير لها ودون تعليل لا يعين على فهم طبيعة

---

[11] - موسوعة ويكيبيديا.

[12] - موقع موضوع .كوم: https://mawdoo3.com /

13 - ينظر : النظرية اللغوية في التراث العربي 77.

[14] - النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، د. عبدة الراجحي مجلة ثقافة اليوم. بالرياض، العدد 7123،

اللغة. وإن اللغة هي التي تميز الإنسان من الحيوان؛ ولا يمكن أن يكون ذلك راجعا إلى اختلافات بيولوجية بينهما، وإنما يرجع إلى الفرق الجوهري بينهما، وهو امتلاك الإنسان للعقل.

وكانت الدراسات السائدة في القرن التاسع عشر، تاريخية مقارنة تسعى إلى معرفة العلاقات الوراثية بين اللغات وما يترتب على ذلك من الكشف عن قوانين «التطور» فيها[15].

المبحث الثاني:
النظرية اللغوية العربية

بعد هذا العرض لمفهوم النظرية العلمية وتأريخها وأهميتها وشروطها واجراءاتها وسماتها وأهدافها، من الناحية العلمية، نتساءل: هل يتحقق ذلك في تراثنا اللغوي الزاخر الممتد عبر عشرات القرون، والمتنوع والمتأثر بمختلف النزعات الفلسفية والفكرية والمذهبية؟ لأجل أن نطلق عليه نظرية؟ على غرار النظريات اللغوية العلمية الحديثة.

وهل تنطبق سمات النظرية العلمية الحديثة على تراثنا اللغوي؟؟؟

ومتى وضحت؟ أفي بواكير الدراسات اللغوية والنحوية، أو عندما نضج الدرس اللغوي في القرن الرابع الهجري مثلا. وهو العصر الذي بلغت فيه الحضارة العربية الاسلامية ذروتها، وبسطت اشعاعها للعالم..؟

واذا ثبت وجود نظرية لغوية عربية على غرار النظريات الحديثة، ما فرضيتها وما سماتها واجراءاتها وو ...

فهل توجد نظرية لغوية عربية؟

يمكن أن نتصور ازاء ذلك فئتين أو موقفين لدى الدارسين العرب:

فئة المؤيدين: وأدلتهم...

- أن العرب انطلقوا من أسس رصينة في دراسة لغتهم.
- أن العرب سبقوا الغرب في وضع النظرية اللغوية.
- وغير ذلك مما سنذكره مفرقا...

فئة المعارضين: وأدلتهم:

- سعة التراث اللغوي وامتداده عبر قرون وتأثره بمشارب وثقافات مختلفة. لا يمكن احتوائه في نظرية واحدة. وان تراثنا يضم نظريات متعددة لا يمكن أن تحتويه نظرية واحدة.
- إن اثبات وجود نظرية لغوية عند العرب أمر ليس فيه كبير جدوى، واشغال الباحثين في أمور افتراضية يعد اكراها لتراثنا بتطبيق ما لا ينطبق عليه.
- وما هو الا نوع من الغزو الثقافي الغربي الذي تأثر به العرب المعاصرون وشكل من أشكال التبعية العلمية. مثل تطبيق المناهج الغربية على تراثنا ولغتنا من غير مراعاة خصوصية لغتنا التي ترتبط بالقرآن الكريم والاسلام الحديث. واكراه تراثنا اللغوي على قبول ما هو غريب عنه وعن المنطلقات والأسس التي انطلقوا منها.

ومهما يكن من أدلة المعارضين نمضي في تلمس النظرية اللغوية في تراثنا اللغوي. وهذا ما سنتناوله في مباحث الكتاب ان شاء الله تعالى. ولا بد من ذكر بعض الملاحظ منها: ينبغي أن نفرق بين النظرات العامة لدى القدماء وبين دراسة اللغة. فالنظرة القدسية للغة لدى القدماء والتأثر بالمناهج. غير الدراسة العلمية للغة لدى العرب كاستقصاء اللغة واستقرائها ووضع المقاييس والمعايير لمعرفة النظام العام للغة العربية والأنظمة الفرعية لها...

[15] - ينظر تفصيل ذلك: فقه اللغة في الكتب العربية، د عبد الراجحي

والآن وبعد العرض، نذكر أولا بايجاز سمات النظرية العلمية العامة، ومن ثم نحاول تلمس هذه السمات في الموروث اللغوي العربي في ضوء سمات النظريات العلمية الحديثة:

شروط النظرية العلمية الحديثة:

تتصف النظريات بأنها موجزة، ومتماسكة، ومنهجية، وقادرة على التنبؤ، وقابلة للتطبيق بشكلٍ واسع فضلا عن الوحدة والخصوبة. وأن تُبنى على عددٍ من فرضيات يُمكن اختبار كلٍ منها على حدة[16].

وينبغي أن تتوافر في النظريات العلمية الجيدة السمات والخصائص الآتية:

- الوحدة: "... ترتكز وحدة النظرية على وجود استراتيجية واحدة لحل المشكلات، أو عدد قليل من الإستراتيجيات التي يمكن تطبيقها في عدد كبير من الوضعيات.
- الخصوبة: النظرية الجيدة يجب أن تفتح مجالات جديدة للبحث العلمي... وذلك لأن أي نظرية تقدم طريقة جديدة للنظر إلى العالم. وفتح مجالات بحث جديدة للدارسين، وفسح المجال لظهور رؤية جديدة للعالم. فالنظرية البنيوية ليست خاصة بدراسة اللغة بل هي نظرية فلسفية تتسم بالشمول لتفسير الظواهر الكونية. ترتكز على أن العالم بناء واحد، ولا بد من ربط كل ظاهرة مع هذا البناء الواحد. سواء في علوم اللغة أو غيرها...
- الانتاجية: أي ينبغي أن تطرح أسئلة جديدة وتفترض إمكانية إجابة هذه التساؤلات بدون التخلي عن استراتيجياتها للحل...
- الفرضيات المساعدة القابلة للاختبار بشكل مستقل: "ينبغي أن تكون أي فرضية مساعدة قابلة للاختبار بشكل مستقل عن المعضلة التي وضعت لحلها، وبشكل مستقل عن النظرية التي صُمّمت لإنقاذها".
- إمكانية استخدامها لوضع تنبؤات حول الأحداث أو الظواهر الطبيعية التي لم تجر ملاحظتها بعد. وطبقًا لهذا، يجب على أي نظرية أن تؤيدها مجموعة من الأدلة.
- التفنيد أو التكذيب: ذكر الفيلسوف (كارل بوبر) من سمات النظرية العلمية: أنه لا يكون للتأكيدات أهمية إلا إذا جاءت نتيجة لتنبؤات صحيحة؛ للتوصل الى نتائج مستقيمة، والا تفند النظرية. ويرى أن المعيار الذي يحدد الحالة العلمية لأي نظرية يكمن في قابليتها للتفنيد أو الاختبار. والتي يطلق عليها اسم "الفرضيات المساعدة".
- التنبؤ والتكهن: إن أبرز ما يسم أي نظرية علمية هو أنها تضع تنبؤات قابلة للتفنيد أو للاختبار. وصحة هذه التنبؤات ودقتها هي التي تحدد مدى فائدة النظرية. أن تكون قادرة على التكهن بنتائج الملاحظات المستقبلية؛ ولابد أن تكون تنبؤية على الرغم من كونها افتراضية يتعذر الجزم بثبوتها ثبوتا تاما[17].
- أن تحقق شرط الاتساق مع إحدى النظريات السابقة، التي تكون مؤكدة تجريبيًا، واظهار عدم دقة النظرية القديمة.
- وأن تكون مرنة منفتحة على كل الاحتمالات وقابلة للتعديل، ولا يشترط فيها أن تكون تامة محكمة البنيان ودقيقة إلى أبعد الحدود في تنبؤاتها.
- وأن تؤيدها الكثير من الأدلة، وليس دليلاً واحدًا، وبما يضمن أنها تمثل مقاربة جيدة، إن لم تكن صحيحة كليةً. ولا يُشترط في النظريات أن تبلغ مستويات مثالية من الدقة لكي تكون مفيدة علميًا.
- النظريات المقبولة في الأوساط العلمية تكون مدعومة بالأدلة، ويمكن أن تُعدل أو يُصرف النظر عنها إذا تغير أو تبدل الدليل

---

[16] - النظرية العلمية، أحمد أغبال http://sophia.over-blog.com/article-16416825.html وينظر: موسوعة: يكيبيديا.

[17] - المصدران نفسهما.

- وغير ذلك من السمات والخصائص والمعايير التي تحدد علمية النظرية... وليس من وكدنا تتبعها واستقصائها، بقدر أخذ فكرة عامة عنها، تمهيدا لتناول النظرية اللغوية عند العرب ومدى انطباق هذه السمات العلمية عليها...

النظرية اللغوية العربية:

المراد منها قدرة امة من الامم على ضبط لغتها وتقنيتها لإدراك مرتبة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتبارها ظاهرة بشرية كونيه تقتضي الفحص العقلاني بغيه الكشف عن نواميسها الموحدة. والحضارة العربية قد ادركت تلك المرتبة. فقد فكر اعلامها في اللغة العربية واستنبطوا منظومتها الكلية وحددوا فروع دراستها بتصنيف العلوم اللغة، وبتبويب المجاور كل منها، فكان من ذلك جميعا تراثهم اللغوي في النحو والصرف والاصوات والبلاغة والعروض.([18]).

وان اولى قطاعات البحث بتوجيه الدرس اللغوي اليها هو قطاع التنظير([19]). وقد جاء في الدراسات المعاصرة للتراث اللغوي الغربي شيئ من استنباط النظرية النحوية، بصفة خاصة على استحياء وفي عدة صور ابتدائية لم تبرز على نحو كاف ([20]).

لقد جمع اللغويون العرب لغتهم، ووضع النحاة قواعدها التي ترشد الى الصواب وتعصم الألسنة عن الخطأ , والباحث في صوغ مادة النحو العربي يجد منهجيه علمية تعاهدوها بينهم، كان هدفهم الاول وضع قواعد وقوانين تنحو نحو الصواب في الاداء اللغوي، لذلك لم يعنوا بالنظرية قدر عنايتهم بأساليب ترتيب تطبيقية للنظرية النحوية لا بحديث عن النظرية نفسها. وكتب النحو العربي على اختلاف مناهجها وأساليبها ممارسة لنظرية النحو بمنهجية علمية . نحاول اعادة تشكيل هذه النظرية، بمنهج يقوم غلى تتبع اسس تلك النظرية في المصادر المختلفة. ومن تلك الأسس تتبع فكرة الأصل والفرع وغيرها[21].

أوليات الدرس اللغوي عند العرب:

ان بواكير النظرية الأولى التي استند اليها القدماء والأسس أو المنطلقات التي انطلقوا منها في دراساتهم اللغوية والنحوية هي: ان اللغة العربية لغة العرب وان القرآن نزل بها. وتِصداق ذلك في آية من القرآن: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِه) وان الشعر ديوان العرب فمن أردا أن يفسر غريب القرآن فليطلبه في الشعر الجاهلي. وفي القرآن الكريم مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني. وبذلك انتقلت في نتائجهم كثير من مزايا القرآن الكريم اللغوية الى العرب وشعرهم. كما قال: أبو عبيدة في المجاز. وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص: 16وابن فارس في: "الصاحبي" فِي فقه اللغةِ العربيةِ وسننِ العربِ فِي كلامها. وابن جني في الخصائص والسيوطي المزهر في علوم اللغة، وابن هشام مغني اللبيب والكفوي في الكليات ... وغيرهم. وكان عليهم أن يعكسوا الأمر وهو ان اللغة العربية لغة القرآن الكريم وان العرب استفادوا منها كثيرا وجعلوها اللغة الرسمية لهم.

ومن أسسهم التنظيرية أنهم نظروا الى العربية نظرة القداسة وقالوا ان العربية انزلت من السماء ولم يضعها العقل البشري. نزلت وحيا من السماء على الأنبياء. ولكنهم نسبوها فيما بعد الى العرب وان القرآن نزل بها ثم تحداهم بها... وبهذا لا يخفى التقاطع بين المنطلقين. وغير ذلك من الفرضيات التي تحتاج الى مناقشة.

ومن الأسس النظرية اللغوية لدى القدماء والفرضية التي سعوا الى اثباتها في كتبهم ودراساتهم: ان العربية أفضل اللغات وان اللغات تأخذ منها بعض المزايا.

---

[18] - التفكير اللساني في الحضارة العربية : 36

[19] - قراءة النظرية اللسانية في التراث العربي بين المنظورين العربي والغربي :1

[20] - النظرية اللغوية في التراث العربي: 44.

[21] - التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير سارة علواني. كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة ام الواقي الجزائر 2015.

التأليف المختلط بين الموضوعات في الدراسات اللغوية العربية

نشأ الدرس اللغوي عند العرب مختلطًا متداخلاً في غيره من فروع الدراسات اللغوية وغير اللغوية، إذ إن الدراسات الأولى اهتمت بخدمة القرآن الكريم لتوضيح مراميه التشريعية والتفسيرية، وحمايته من اللحن؛ فكان هذا الاختلاط والتنوع في الدراسات ووضع الكتب والمصنفات اللغوية وغير اللغوية يمثل المرحلة الأولى للتأليف الذي كان لا يقوم على خطة، ولا على تخصص إذ بدأ التأليف بجمع الألفاظ من البادية وكان العالم يسمع الألفاظ ويدونها من دون ترتيب حسبما سمعها[22]، وهذا ما أدى الى الاضطراب في الوقوف على نظرية أو منهج تأليف واضح لدى العرب.

كان القرآن الكريم هو الحافز الأكبر لنشأة الدراسات العربية، لذا نشأت الدراسات مختلطة متداخلة، فقد ظهر علم التفسير وعلم الحديث والفقه والقراءات واللغة والنحو والصرف والأصوات والفلسفة وعلم الكلام والمنطق والمعاني وغيرها من العلوم في أوقات متقاربة جدا ولأسباب مشتركة، تقف على رأسها خدمة القرآن أحكاما ولغة واعجاز، وصرنا نرى مفسرا لغويا وفقيها محدثا ومقرئا نحويا وهكذا[23]...

إذن التأليف المختلط كان يمثل المرحلة الأولى، فالتسلسل المنطقي للحديث عن النظرية اللغوية ونشأت التأليف اللغوي لا بد فيه من التطرق الى مسألة التأليف المختلط؛ لأن الاختلاط ظاهرة ظلت تساير التأليف في اللغة حتى بعد ظهور معجمات الألفاظ والمعاني واستمرت الى نهاية القرن الثالث واستمرت حتى القرون المتأخرة، فكتاب سيبويه ت180هـ وردت فيه المباحث اللغوية متداخلة، ومستويات اللغة متصلة بعضها ببعض على الرغم من أنه عاصر مرحلة التأليف المستقل، ومثله كتاب المقتضب للمبرد ت285هـ ومجموعة من المصنفات التي سارت على المنهج ذاته، التي وضعها مؤلفوها لتكن مراجع للدارسين في احتوائها على أغلب فروع الدراسات اللغوية وأبوابها المعرفة كالصوت، والصرف، والنحو، والعروض، الا أن صفة النحو طغت عليها واشتهرت على أنها من كتب النحو، إلا أنها لم تكن خالصة له[24]، وكتب النوادر والأمالي: هي أيضًا من الكتب التي اختلط فيها التأليف اللغوي[25].

الخليل بن أحمد والنظرية اللغوية العربية:

يعدّ الخليل واضع أسس النظرية اللغوية عند العرب، فقد نضجت على يده المعارف العربية الاسلامية بفروعها المختلفة من لغة ونحو وصرف وأصوات وتفسير وفقه وبلاغة وعروض والموسيقى وغيرها. واكتملت النظرية اللغوية العربية.

لقد اعتمد العلماء العرب ورائدهم في ذلك الخليل عددا من المفاهيم والمبادئ اللغوية، فقد وضع مثلا مفهوم الاصل والفرع. وهو من أسس النظرية العامة للغة العربية التي قامت عليها (النظرية الخليلة الاولى). وكان عماد المنهج النحوي عند الخليل وتلميذه سيبويه فكرتان فكرة العامل وفكرة الاصول والفروع، وما تستتبعه من تعليل وهذا هو قوام القياس.

وأول خطوة في هذا المنهج هو تضييق الكلم في زمر، والذي عليه نحاة العربية قاطبة , وهذه الزمر هي: الاسم والفعل والحرف، وهو تقسيم لا يخرج عنه أي لفظ من الفاظ العربية. ورصد مع النحاة مجاري اواخر الكلم في حالتي البناء والاعراب أربع منها للأعراب واربع منها للبناء [26].

---

[22]) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، 80.

[23] - التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير سارة علواني.

[24]) ينظر، المصدر نفسه،81. و: ظواهر الاختلاف المنهجي في تأليف كتب غريب القرآن ، صلاح ساير فرحلن العبيدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج:14، ع:5،آيار 2،2017. وينظر: الفهرست، لابن النديم (ت: 438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2 1417 هـ - 1997 م، 116.-

[25]) ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، 277.

26 - الكتاب 1 / 2 , 3 .

فقد تكاملت صورة منهج البحث العلمي عند الخليل، واظهر ما تميز به هو القدرة على التصور الشامل لموضوع بحثه وضم ما تناثر من جزيئاته في كليات جامعة وقوانين، لا يكاد يخرج عنها شيء منه.

المبحث الثالث:
سمات النظرية اللغوية العامة فى التراث العربي

بعد العرض السريع هذا لأوليات البحث اللغوي وأهدافه، والمؤلفات الأولى التي اختلطت فيها الدراسات اللغوية ، نحاول تلمس هذه السمات في الموروث اللغوي العربي في ضوء سمات النظريات العلمية الحديثة، وقد ذكرنا قبل ذلك بايجاز سمات النظرية العلمية الحديثة العامة. معتمدين كتاب أ.د. محمد عبد العزيز عبد الدائم:

أ- النظرية اللغوية العامة

ويقصد بها تلك النظرية التي ترد فى مختلف فروع الدرس اللغوي، والتى لا يستقل منها درس لغوي واحد.

ب- النظرية اللغوية الخاصة

ويقصد بها تلك النظرية التي تتوزع على فروع الدرس اللغوي، فتخص كل مجموعة منها فرعا من فروع الدرس اللغوي.[27] وذلك كمجموعة النظريات التي تخص لدرس الصوتى، وتلك التى تخص الدرس الفونولوجي ... الخ. ويمكن تسميتها بفرع الدرس اللغوي التي تخصه كالنظريات الصوتية والصرفية والنحوية وغيرها.

تنقسم النظريات الخاصة الى فرعين هما:[28]

1- النظريات الأساسية: ويقصد بها تلك النظرية التي تعالج فرعا من فروع الدرس اللغوى بشكل أساسي التي تخضع لها معظم قواعد فرع الدرس اللغوي الذى تخصه.
2- النظريات غير الأساسية: ويقصد بها تلك النظرية الأخرى التي ترد تكميلا للنظريات الأساسية، أو بديلا منها. وجود نظرية لغوية عامة و نظرية لغوية خاصة بأن هناك قدرا مشتركا بين نظريات فروع الدرس اللغوي، أي أن النظريات اللغوية تتفق فى جانب وهو الجانب الذى تعكسه النظرية اللغوية العامة، وتختلف فى أخر وهو الذى تعكسه النظريات الخاصة لكل فرع من فروع الدرس اللغوي.

وفى الحقيقة، الجانب الذي تشترك فيه النظريات اللغوية المختلفة فيما يتصل بمعالجة اللغويين للمادة اللغوية المسموعة، إذ تتم معالجة أية مادة لغوية مروية تحت مفاهيم تتصل برد بعضها تحت ما يُعرف باللحن والخطاء والتصحيف والتحريف والوهم ...إلخ. كما يتم إخراج بعض المسموع المقبول من دائرة العربية المشتركة وقصره على العربية المقبولة الخاصة، وذلك فى وصف بعض المسموع بأنه خاص بقبيلة (لهجات) ووصف بعض آخر بأنه خاص بلغة الشعر (ضرورة). وأخيرا يتم القول بالشذوذ أو السماعية لِمَا لم يستنبطوا له قاعدة مطردة. ويؤكد ذلك على أن مفاهيم اللحن والخطاء والتحريف والوهم واللهجة والضرورة وغيرها لا تقتصر على الدرس النحوي، إذ تردد أيضا فى الدرس اللغوي صوتيا وصرفيا ومعجميا ودلاليا.

طبيعة النظرية اللغوية العامة فى التراث العربي:

إن فى النظرية اللغوية العامة فى التراث العربي إجرائين بارزين على نحو خاص هما: التصنيف والتحليل، ولكن هذا البحث سيعالج خمس خصائص للنظرية اللغوية العامة فى تراثنا اللغوي هي النزعة الفلسفية والمعيارية والمقارنة والتصنفية والتحليلية.

---

[27]. محمد عبد العزيز الدايم. النظريات اللغوية فى التراث الغربي, القاهرة, دار السلام, ط1، ص: 57
[28]. المصدر السابق، ص: 58

1- النزعة الفلسفية

لا يخفى ما اتهم به درسنا اللغوي من ميل الى الفلسفة والمنطق مما لا يتصل فيما يرى الباحثون المعاصرون بدراسة اللغة. وأن النزعة الفلسفة التى اتهم به درسنا اللغوي ضرورة علمية محضة وذلك بناء على كون النظرية هي الفرض إو الفروض التى يقدمها العلماء لوصف النظام الذي يدرسونه. إن خلو العلوم من الإفتراض الذى عيب على اللغويين العرب مستحيل وغير وارد، إذ تصبح مجرد معارف سطحية، تقتصر على الظاهر دون استكناه لما وراءه من أنظمة وقوانين.[29]

اتهم الدرس اللغوي العربي بالميل إلى الفلسفة والمنطق مما لا يتصل بها كونه غير لغوي، فيحين أثبتتا الأبحاث أن النزعة الفلسفية هذه التي اتهم بها درسنا اللغو ي ضرورة علمية محضة، اعتبارا من العلماء أن النظرية تقوم على الفرض (الفرضيات) فخلوا لعلوم من الافتراض الذي عيب على اللغويين العرب مستحي لو غير وارد, فذلك يجعل المعارف سطحية تقتصر على الظاهر، ويستلزم خلوها من النظريات.

وإذا كان البحث قد انتهى إلى ضرورة الافتراض فى الدرس اللغوي وغيره بناء على أن النظرية تمثل المقابل الذهنى التجريدي الذي يقدمه العلماء للأنظمة االتى ترد فى ظواهر اللغة، فإن بعض الباحثين قد عبر عن ضرورة هذا الافتراض فى الدرس اللغوي، قال فى ذلك:

"فما ضيقنا بالنحو ؟ وإنما هو قانون اللغة التى قدر علينا أن نتكلم به , وما جريرة النحاة فيه؟ وما إساءتهم إلينا به؟ وهو إنما أخذوه من العربية، كما ألفوا أصحابها يتكلمون. أنضيق بفلسفة؟ وكيف وكل شيئ من الثقافة اللغوية والدينية قد دخلته الفلسفة، وأثرت فيه، وما كان ممكنا أن يسلم منها النحو وحده وإلا كان عجبا من العجب يراد به إخفاء طابع الثقافة وسمة العصور فى النحو خاصة.[30]

2- النزعة المعيارية

يوصف التراث اللغوي العربي بقيامه على المعيارية وتخلف النزعة الوصفية عنه. ولا يتصور البحث تدافع المعيارية والوصفية، إذ لا ترد المعايير أو قوانين والقواعد العامة فى دراسة اللغة أو غيرها من العلوم إلا بعد وصف دقيق منظم لها، وأية معايير لا تنبني على وصف صحيح تكون خطاء أو تكون على الأقل، عرضة لذلك على نحو كبير، كما أن الوصف الذي لا ينتهى بمعايير يبقى الظاهرة بلا دراسة حقيقية، إذ ستخلو الدراسة من الكليات أو القواعد العامة والتفصيلية.

يتصف التراث اللغوي العربي بقيامه على المعيارية، وهي التي تُعني بالصحة اللغوية أو معيار الصواب والخطأ، بهدف تقديم قواعد تعصم اللسان أو القلم من الخطأ واللحن, حيث تفيدنا بمستوى لغوي محدد واجبا لحفاظ عليه و يمتنع الخر و جعنه وترسم لنا حدود الما ينبغي أن يقال، وهذه الأخيرة مستخلصة منكتب القواعد وأقوالا للغويين، وقد غلبت هذه السمات على الدراسات النحوية للغة العربية.

إن الإكتفاء بالوصف دون الإنتهاء إلى معايير يبقى الدرس مجموعة أولية من الأوصاف دونما تقديم تعميم بينها. ويمكن تمثيل العلاقة بين الوصف والمعيارية:

التعميم

الوصفية ⟵ المعيارية

وإن الوصفية والمعيارية إجراءان للبحث ينتقل من أولهما إلى الثانى من خلال ثالث هو التعميم الذي يعد أحد الإجراءات التنظيرية.

وقد رفض بعض المستشرقين وصف التراث اللغوي بالمعيارية ، ورأى أنه يقدم نموذجا ثالث للدرس العربي وهو النموذج التفسيري ويقول عن وظيفة النحوي فى تراثنا :(المهمة النهائية للنحو هي أن يشرح للمؤمنين لماذا يتكلمون بالكيفية التي يتكلمون بها. من الواضح أنه لا

---

[29]. المرجع السابق، ص:71

[30]. ناصف، علي النجدي (1979) سيبويه إمام النحاة ، القاهرة : عالم الكتب، ص: 44

يمكن أن يخضع مفهوم مهمة النحو هذا للوصفية، بل يمكن أن يكون من الخطاء عد النحاة معياريين أيضا. المصطلح الواحد الذي يعطى مفهومهم لوظيفة الدرس اللغوي هو التفسير)

وإن المتأمل في اتجاه اللغويات العربية المعاصرة في تقويمها للتراث العربي، يلحظ أنه اتجاه نقدي قائم على الحديث عما فيه من معيارية وفلسفة بخلاف اتجاهات المستشرقين اللغويين الغربيين الذين أثبتوا للتراث اللغوي العربي أو جه تفوق كبيرة، على الرغم من أن النظريات عند العرب لمت أخذ في الأعمال أغلب عنوانا بارزا في دراساتهم فجاءت في أثناء عرضه مل مفاهيم العلوم العربية وتصوراتها المختلفة، ولكن مهما قيل وما يقال عن المنهج المعياري؛ فإنه لايزال سلطانا لا يتزحزح، كونه لا يمكن الاستغناء عنه وإلا لكان جميع ما تفعله الأمم وما تصنعه من وسائل لتعليم اللغات لأبنائها ولغير أبنائها كله عبث كذلك، لأن مثل هذا التعليم لا يمكن أن يقوم إلا على أساس معياري أي وجوب التمييز بين الخطأ والصواب.

3- النزعة المقارنة (المقارنة بين صور اللغة/ اللغة المشتركة واللهجات والضرورة)

لم يقتصر اللغويون العرب على دراسة اللغة المشتركة، وإنما تعرضوا للهجات فصلا لها عن العربية المشتركة أن تختلط بها، أي أنهم درسوا ما عرضوا من للهجات أثناء دراستهم للعربية المشتركة.[31] ويعنى هذا البحث من دراسة اللهجات فى التراث العربي بتفسير ما صنعه اللغويون العرب بشواهد اللهجات من خلال النقاط التالية:

- لم تقتصر دراسة اللغويون العرب للشواهد على وصف شواهد اللهجات والضرورة بذلك، بل دار للنحاة حديث غير قصير حول الشواهد كلها سواء أكانت قد صنفت ضمن شواهد اللغة الخاصة ضرورة كانت أو لهجات، أم صنفت ضمن شواهد اللغة المشتركة. فهم يحللون شاهد اللهجات أو الضرورة مثلما يفعلون مع شاهد اللغة المشتركة، فيستنبطون نظامه أو القاعدة العامة له.
- أن تصنيف اللغويين العرب للشاهد بكونه لغة خاصة لهجات أو ضرورة كان يكفى لدراسة اللغة المشتركة التى هى موضوع دراستهم واهتمامهم، إذ ذلك يفصل الشاهد أيا كان الحكم اللغوي أو القاعدة التى يشتمل عليها عن اللغة المشتركة.
- أن بعض توجيهاتهم لشواهد اللهجات ترجع إلى عدم استقرارهم على تصنيفها باللهجات، فهم يترددون بين كونه من قبيل اللهجات والضرورة.
- أن بعض توجيهاتهم لشواهد اللهجات يرجع إلى عدم الإستقرار على كونه لهجة وليس من قبيل اللغة المشتركة. وأن الحكم عليه باللهجة ليس إلا وجها المحتملة لوروده بالحكم اللغوي الوارد فيه
- أن دراستهم لشواهد اللغة الخاصة بالقبائل (لهجات) ترجع إلى نوع من المقارنة بين مختلف اللهجات فى العربية. وهذه إحدى خيارات اللغوي. يشير بعض اللغويين المعاصرين إلى ان اللغوي مخير مع اللهجات بين أن يترك ما سوى ما يدرسه من اللهجات وبين أن يقارن بينها.[32]

4- النزعة التصنفية (تصنيف الشواهد اللغوية)

لا يقتصر التصنيف فى التراث اللغوي العربي على تصنيف الشواهد، وإنما يرد على امتداد الدرس اللغوي كله، ولكن هذا البحث يقتصر على تصنيف هذا التراث للشواهد.

قبل استعراض تصنيف التراث العربي للشواهد اللغوية المختلفة نؤكد على أن تصنيفهم للشواهد لا يقتصر على الشواهد الصرفية والنحوية فحسب، بل يرد كذلك فى الشواهد الصوتية وغيرها، والحقيقة أن تصنيف الشواهد فى التراث العربي يعد تصنيفا فريدا، وهو مِن ثَم، بحاجة إلى بيان تميزه الخاص وإبتداعه. ويؤكد على الحاجة إلى تفسير تصنيفهم الشواهد فى التراث العربي

---

[31]. رابين، تشيم (2002) اللهجات العربية فى غرب الجزيرة العربية، ترجمه وعلقه د. عبد الكريم مجاهد، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 1 ص: 41

[32]. محمد عبد العزيز الدايم. النظريات اللغوية ص: 67

وبيان النظام الحاكم له تضاعف الأصناف التى تقدمها والتى تريد الدارسون المعاصرون تحديدها على نحو قطعى، ويشير بعض الدارسين المعاصرين إلى ورود مصطلحات ومفاهيم كثيرة لأصناف الشواهد اللغوية فى التراث العربي بحاجة إلى تحديد معظمها من مصطلحات تصنيف الشواهد ومفاهيمه، يقول: فى النحو العربي تتردد ألفاظ (القياس– المطرد– الغالب- الشائع- النادر- الشاذ- السماع ...الخ) ومن المفيد قطعا أن يكون عرف النحاة عن معناها محددا ومتقنا عليه، فلا يترك ما تطلق عليه عرضة للإرتجال والإجتهاد الشخصي.[33]

وهذه مرتبطة بالسماع، وذلك أنه لا تقوم فائدة إلا بالاستعمال وتتضح عن اية التراث العربي بتمييز المستعمل في اللغة عن غيرهم نخلا لحرصهم على بيان كلمنا المفردات التراكيب المستعملة، فقد قدموا جهودا رائدة في التحقق من السماع بكلم انقل من العربية عن العرب، حيث عالج اللغويون اضطرا بالمادة التي تمج معها بافتراض أصناف متعددة في المادة اللغوية، بغرض معالجة التناقضات التي تبدو في ظاهر اللغة، وتبرز هذه النزعة في تراثنا اللّغوي العربي من تصنيفا لنحاة للشواهد، ومن أحكامهم المختلفة على الشواهد اللغوية صوتية أو صرفية أو نحوية أو معجمية، وتجدر الإشارة إلى أن التصنيف هو الخطوة التالية للاستقراء الذي يعنى بتقسيم المادة اللغوية وجمع ما يتوافق منها في الشكل أو في الوظيفة، وهذه الأخيرة تم إثباتها في المنهج الوصفي وخطواته ويتجلى ذلك بوضوح في ا لدراسات النحوية والتركيبية عند العرب بعد مرحلة جمع المفرد اتو تدوينها.

تحقق النظرية العربية وشروطها:

إنّ الاستقراء والتعقيد هما طريقان من طرق الوصف المعتمدة في الدراسات اللغوية، يتوسط بينهما عمل آخر هو التقسيم، ثم يليه عمل رابع هو التجريد أو تسمية الأقسام إذ يقصد بالتجريد هو خلق الاصطِلاحات الدالة على الأقسام.[34]

ويُعد التجريد واحداً من شروط النظرية اللغوية وأول وأهم الخصائص اللازمة في النحو العربي، يحقق هذه الخصيصة:

١- حرص النحاة العرب على القياس الذي كان وسيلة مهمة يخرجون بها من آحاد الشواهد النحوية إلى القواعد العامة التي خضعت لها تلك الشواهد.

٢- محاولة النحاة تقليل الشواهد غير القياسية التي لم تجرّد في القاعدة العامة.[35]

اذاً يمكن للباحث أن يقول: أنّ الاستقراء والتقعيد أو ما اصطلح عليها بأهم طرق الوصف، وما يلحقها من تقسيم أو تصنيف وما يسبقها من النزعة الفلسفية في النحو العربي كلها تعد من أهم الإجراءات في النظرية اللغوية عند العرب.

ويمكن للباحث" التحقق من موافقة النظام من خلال إمكان تفسير أفراد الظاهرة وفق الفرض المقترح، أي إذا انطبق الفرض على جميع الأفراد كان فرضاً صحيحاً مقابلاً للنظام." [36]

ومما تحقق من سمات النظرية العلمية لتراثنا اللغوي: الفروض. ولا سيما في النحو العربي، اذ لم يخلو من عدة فروض أهمها فرض وجود العامل ان لم يجدوه يقدرونه تقديرا... وسوف نفصل القول بنظرية العامل ان شاء الله.

وفي البلاغة في تحديد العدول افترضوا الأصول النحوية هي الأساس المعتمد لدراساتهم البلاغية... وغير ذلك مما يعد فرضا للنظرية العلمية واثبات وجود نظرية لغوية عامة عند العرب فضلا عن النظريات الفرعية كنظرية العامل ونظرية المعنى وغيرها.

عناية العرب بالحدود اللغوية والنحوية:

---

[33]. الإستشهاد والإحتجاج باللغة ، القاهرة، عيد د. محمد (1988) عالم الكتب ، ص : 261

[34] -ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية : د. تمام حسان: ١٤٩.

[35]- ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي:٢٣.

[36] - المصدر نفسه: ٦٢.

ومن شروط النظرية التي ذكرناها: أن يتوافر بها الاصطلاحات العلمية الدقيقة والمفاهيم الكلية والأسس العامة لملامح الدرس اللغوي والمنهج القويم و.. فالنظريات الحديثة تعنى بالمصطلحات المناسبة الجديدة... فهل تحقق ذلك في النظرية اللغوية عند العرب؟

وإنّ ما يلحظه الباحث من عناية النحاة ولاسيما المتأخرين بالحد النحوي، كان ناتجاً عن المُسايرة روح العصر وثقافته السائدة في ذلك الوقت، إذ لا يمكن أن يتصور المتتبع للنحو العربي أن يبقى النحاة بمعزل عن كل التيارات الثقافية والفكرية المتنوعة التي كانت الشائعة في تلك الحقبة الزمنية.

ومما لا يخفى أنّ لجوء النحاة الى بيان الحدود والتعريفات إنما هو أثر من آثار اهتمامهم بالمعنى في تفكيرهم عند تقعيد النحو ويعد ذلك سمة من سمات النظرية اللغوية.[37] ويبدو تلك العناية من تخصيص كتب للحدود منها كتاب: الحدود في النحو لأبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني المتوفى سنة (٣٨٤هجرية) ذكر في "باب الحد لمعاني الاسماء التي يُحتاج إليها في النحو وهي القياس والبرهان والبيان والحكم والعلة والاسم والفعل والحرف والإعراب والبناء والتغيير والتصريف والغرض والسبب والمعرفة والنكرة والمفرد والجملة...". [38]

ومن ذلك ما ورد في كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، إذ يُلحظ التكثير من استعمال الحدود النحوية، مع بيان الأقسام المتنوعة لكل ما يقع تحت المصطلح نحوي المحدد وبيان تصنيفاته، وما يميز كل صنف من تلك الأصناف عن غيره. وفي الكثير منها كان الاعتماد على المعنى هو الفيصل في التقسيم والتصنيف...

الفصل الثالث:

النظريات الفرعية:

قلنا إن سعة تراثنا اللغوي في رقعة جغرافية كبيرة ومتنوعة وعصور مختلفة. وتعدد مستوياته، وتشعب هذا التراث وتأثره مشارب وثقافات مختلفة لا يمكن اختزاله في نظرية لغوية واحد، وانما يمكن تلمس سمات عامة للنظرية اللغوية ومن ثم الوقوف عند نظريات فرعية مستقلة، أهمها نظرية العامل ونظرية المعنى والأصل والفرع ... وغيرها...

نظرية العامل في النحو العربي:

أقام النحاة النحو في ضوء فكرة العامل، فلا تكاد توجد مسألة في النحو تخلو من تعلّق بعامل سواء أكان عاملاً معنويا أم لفظياً.[39]

إنّ نظرية العامل في حقيقتها فرض وضعه النحاة يعكس النظام والقانون الحاكم في تركيب الجملة العربية، ولا تخرج عنه إلا حالات خاصة عولجت في ضوء فروض محددة أخرى إما مكملة لهذه الفرض أو تكون بديلةً عنه، مثال ذلك الاشتغال.[40] والاشتِعال هو فرض بديل أو مكمل لنظرية العامل، إذ عُرف الاشتغال: ب" أنّ يتقدم اسم، ويتأخر عنه فعل متصرف أو ما جرى مجراه قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببه، ولو لم يعمل فيه لعمل في الاسم المشتغل عنه أو موضعه".[41]

وعلى الرغم من الهجوم على النظرية العامل تجد ان نظريات لغوية غربية حديثة تعتمد على نفس المبدأ. كما يمكن القول ان ثمة نظرية لسانية عربية حديثة اعادت الاهتمام بالعامل واكدت دوره الوظيفي في بناء التراكيب اللغوية وفهمها قبل ظهور نظرية شومسكي الجديدة.

---

[37] -المصدر نفسه ٣٥-٣٧.

[38] -كتاب الحدود في النحو : أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني :٤.

[39] - ينظر: نظرية العامل عند ابن الأنباري من خلال كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: هدى حمادي: ١٥

[40] - ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي: ٦٣.

[41] - المقرب : ابن عصفور الإشبيلي : ٨٦.

نظرية الأصل والفرع في العربية:

إن فكرة الاصل والفرع عند النحاة نجدها تتعلق بالعنصر الثابت أو النواة, أَما الفرع فهو الأصل بزيادة سلبية أو إيجابية[42] ويبين النحاة العرب ذلك باللجوء الى منهج علمي هو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء او اجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها، فالمذكر اصل والمؤنث فرع، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرع عليه، والتكبير أصل والمصغر فرع عليه... وتمتد فكرة الأصل في أبواب النحو العربي جميعه فترد كل ظاهرة نحوية متجانسه الى أصل واحد في الغالب، فالعمل النحو اصل واحد، ولكل باب من ابواب النحو قاعدة عامة واحده تسمى أصل القاعدة، وللأدوات النحوية أصل واحد يسمى أصل الباب , واصل دلالة الكلمة على مدلولها التجرد من العلامة الخطية واللفظية، ويربط النحاة بين الاصل الواحد وفروعه بقياس شكلي يسوغون به إلحاق الفروع بالأصل الواحد[43]. فجعلوا لكل باب نحوي أصلاً عاماً ينتظم ظواهر كافة وإذا وجدوا للباب عدة أدوات متشابهة العمل جعلوا واحدة منها أصلاً تتفرع عليه سائر أدوات الباب. وهنا نتتبع مفهوم الاصل والفرع عند الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه. فقد تكاملت اصول النحو بين يديه منهجا: ((ومن اهم ما انتهى اليه الخليل فكرة الاصول والفروع[44]. وهي تشمل معظم مقولاته النحوية ومعظم العناصر التي يتألف منها الكلام[45] .

وفكرة الاصل والفرع في النحو إنما سيطرت على الخليل من تصوره للعلوم عامة، فما نقل عنه: ((العلوم أربعة فعلم له اصل وفرع , وعلم له أصل ولا فرع له , وعلم له فرع ولا اصل له، وعلم لا أصل له ولا فرع))[46] . وقد برع الخليل بهذه العلوم وغيرها...

وهذا التصور جرى عليه في علم العروض، يدل على ذلك لفظ (بحر) للدلالة على وزن معين، كأنه أصل يغترف منه كل شاعر، ويصدق مفهوم الأصل والفرع في الخطة التي وضعها لبناء كتاب (العين) القاصدة الى حصر أصول كلام العرب وما يأتلف من حروفها , وما لا يأتلف، واتيانه كل أصل من أصول اللغة بتقاليب ذلك الاصل.

اذن تضمن الاصل والفرع مفهوم النظرية اللغوية في البساطة في انها تشمل تراكيب اللغة، والاتساع , والاتساق اللغوي.

نظرية المعنى :

ولقد كان للمعنى أثرٌ ظاهرٌ في الدراسات النحوية منذ بدأ التأليف النحوي حتى نهاية القرن الرابع من الهجرة. ظهر هذا الأثر واضحاً جلياً في مناهج البحث النحوي وفي صياغة النحاة لأصول النحو وفروعه، وكذلك ظهر في محاولاتهم لتعليل ظواهره وأحكامه، وعند دراستهم لدلالة المفردات اللغوية وتراكيبها، وفي فهمهم لأساليب الكلام العربي وطرائق التعبير. وغير ذلك مما تزخر به تصانيف النحو من مسائل نحوية وصرفية وحجج ومناظرات وموازنات ومؤاخذات [47]

ثمّ إنّ الدراسات النحوية كانت منذ نشأتها توظف الدلالات والرموز من أجل التعبير عن الحالات الاعرابية ذات البعد الدلالي الظاهر وتعتمد في استخلاص المعاني على علاقات الألفاظ داخل التركيب الواحد، وتعتمد في إظهار المعاني بما يطرأ على اللفظ من تغيير في البنية من حيث الزيادة أو النقصان وعلى ما يحصل للألفاظ من تغيير في مواقعها داخل النص المحدد من تقديم أو تأخير وإضمار وحذف ، أو بما يحمله اللفظ من علامات التأنيث أو التذكير و التنكير والتعريف، أو من حيث الإفراد و التثنية والجمع بأنواعه ولكلٍ منها دلالة خاصة أشار إليها النحاة

---

42 - ينظر: اللغة العربية العلمية 110 .
43 - ينظر : القياس في النحو 131 .
44 - المصدر نفسه 38 .
45 - ينظر : نظرة الاصل والفرع 7 .
46 - إنباء الرواة 346/1 .
47 ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ١١ .

بالتفصيل، وكذا من خلال ما يراعى فيه حال المخاطب وما يقتضيه السياق الخاص، إلى غير ذلك من الوسائل والسبل التي توصل المتلقي إلى استخلاص المعنى المقصود ، أو توصل المتكلم إلى أفضل طريق للتعبير عن المراد .[48]

ولعلّ "وضوح تلك الدلالات في أذهان النحاة واستقرارها في نفوسهم وكونها ثابتة كالحقائِق المسلم بها أباح لهم الإضراب في ذكر مدلولاتها أو بيان المراد منها، واكتفوا بذكر الألفاظ الدالة على المعاني على نية إدراك القارئ لمدلولاتها". [49]

النظرية في (علم الأصوات عند العرب):

يمكن اثبات أن للعرب نظريَّة في مجال الصوت من خلال تطبيق شروط النظريَّة اللغويَّة العامة على الدرس الصوتي الذي خلفه العرب لنا في مؤلفاتهم ومن هذا المنطق علينا وضع شروط النظريَّة نصب اعيننا عند التأمل في كُلّ موضوع من موضوعات علم الصوت. فمن شروط النظرية (العموم , والتجريد , والاكتمال , والبساطة , والاقتصاد , و الاتســاق العام , والكفاية في وصف اللغات وصلاحيتها للتطبيق على اكبر قطاع من اللغات)[50].

لقد درس العرب والمسلمون الظاهرة الصوتية دراسة نطقية – فيزيولوجية ودراسة فيزيائية ثم دراسة سمعية دماغية، ولكن معلوماتهم حول هذه الظاهرة جاءت مبعثرة لا يجمعها منهج أو نموذج واحد متماسك.

ويعد الدرس الصوتي عند العرب أصل دراسة اللغة، اذ دفعت قراءة القرآن علماء العربية القدماء إلى تأمل أصوات اللغة، ولعل ضمن محاولة "أبي الأسود الدؤلي في " ضبط القرآن بالنقط عن طريق: ملاحظة حركة الشفتين، في أثناء تلاوة القرآن الكريم[51]. وتتضح هذهِ السمات في دراسة علم الأصوات عند العرب في جميع فروعه.

الخاتمة:

نخلص إلى أن العرب القدماء كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية سواء نظريات نشأة اللغة أو دراسة الأصوات اللغوية دراسة ترقى الى الدراسات الصوتية المعاصرة باعتماد المختبرات الصوتية والأجهزة الحديثة. فقد وصفوا الأصوات وصفا دققا وبينوا مخارجها وتأثرها بعضها ببعض بدقة متناهية، وقد كانوا على جانب كبير من استيعاب ظواهر اللغة وفهم قوانينها، ووقفنا من خلال الموازنة بين معالجات القدماء والمحدثين على طول باع العرب في دراسة اللغة بحيث كانت أبحاثهم الرائدة في هذا المجال هي الأساس الذي بنى عليه المحدثون دراساتهم[52]. أما المعجم فقد سبقوا الأمم بذلك وكان الرائد في ذلك الخليل بن أحمد في معجم العين وتبعه تلاميذه وغيرهم. وكانت السمة للدراسات اللغوية الأولية هي الخلط بين دراسة مستويات اللغة وعلومها من نحو صرف وأصوات ومعجم ودلالة وقراءات... وغيرها.

ويمكن تلخيص ابرز الملامح في دراسة النظرية اللغوية العربية في لغويات القرن العشرين في عدد من الامور على النحو الاتي :-

أ ـ ورد اشارات نقدية سريعة على النظرية النحوية في اللغويات العربية في القرن العشرين.

ب ـ اقتصار هذه الاشارات في لغويات القرن العشرين العربية على نظرية العامل دون غيرها مما تنطوي علية النظرية التراثية للنحو العربي. وقد كان في الحقيقة وصف مفهوم العامل بانه نظرية على النحو , لا لان مفهوم العمل لا يمثل نظرية , ولكن لأنه حرم ما سواه من ان يوصف

---

[48] ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٢٧ .

[49] المصدر نفسه: ٢٧ .

[50] ـ ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم: 22

[51] ـ التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير سارة علواني. ص 82.

[52] ـ ينظر: إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية، ص 20. وأحمد محمد سالم ال ا زوي، الخليل بن أحمد ا رئد علم الأصوات، مجلة كلية الأدب، القاهرة، العدد التاسع، ص 14. و الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، رسالة ماجستير 75.

بكونه نظرية، فحرم غيره من المفاهيم التي تحقق الوصف بالنظرية من أن تلقب بلقب النظرية، وكل حديث او اشارة الى النظرية النحو العربي ينصرف مباشرة الى نظرية العمل ([53]).

ج ـ ان الوقوف على نظريات اخرى غير نظرية العامل في النحو العربي كان ابرز ما قدمته لغويات المستشرفين المعنيين بالتراث العربي.

د ـ ان رصد نظريات التراث العربي النظرية لم يحظ في عناية المستشرقين الذين عالجوها بتقدمها في اطار عام , بل لم ترد دراسة لنظريات النحو او الصرف الكاملة.

هـ ـ انه لم يتم التأصيل لما يمكن أن يعد نظرية وما لا يعد , كما لم يوضح اطار عام لنظرية من النظريات التي تم التعرض لها , الامر الذي جعل الباب مفتوحا لمن اراد ان يضفي على عمله بعض الجدة بوصف ما يدرسه بالنظرية .

وان النظريات لم تأخذ في الاعم الاغلب عنوانا بارزا في دراساتهم، بل جاءت في اثناء عرضهم لمفاهيم العلوم العربية وتصوراتها المختلفة. وهذه من اهم الاسباب التي دعت الى الغفلة عند حظ العرب من اغناء التفكير اللغوي الانساني ورود نظريتهم اللغوية مبثوثة في خبايا تراثهم الحضاري بمختلف اصنافه واضرب مشاربه([54]).

ز- ان نظريات التراث اللغوي جديرة بدراسات جادة تستوفي ثلاثة شروط هي :

ان تكون نظريات التراث اللغوي صوتيا او صرفيا او نحويا ... هي العنوان العام الذي يقدم التراث النحوي من خلاله، وذلك لاعادة تقديم التراث اللغوي في صورة نظريات لغوية , مثلما سبق تقديمة في صورة اتجاهات ومدارس لغوية.

ان تستوفي النظريات اللغوية المختلفة لكل علم من العلوم العربية على نحو جامع.

ان تقدم هذه النظريات في اطار عام يبين علاقتها ببعضها البعض([55]).

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

الإستشهاد والإحتجاج باللغة ، القاهرة، د. محمد عيد ، عالم الكتب. (1988).

الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، رسالة ماجستير.

- أسرار البلاغة، الأمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط1، دار المعرفة ، بيروت 2002.

- الأصوات اللغوية، إبراهيم انيس، دار المعارف بمصر (د.ت).

- الأصول، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د. تمام حسان، منشورات عالم الكتب ، القاهرة 2004.

- أصول التفكير النحوي ، د. علي أبو المكارم ، منشورات الجامعة الليبية ، دار الثقافة ، مطابع دار القلم ، بيروت 1973.

- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (316هـ) ، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي ، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت 1987.

- الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي (911هـ) ، ط1 ، تحقيق د. احمد سليم الحمصي، د. محمد احمد قاسم ، ط1 ، جروس برس 1988.

الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين , لابي البركات الانباري , تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

[53] ـ جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي، مجلة 33- التراث العربي العدد85

[54] ـ قراءة النظرية اللسانية: 6

[55] ـ التفكير اللساني في الحضارة العربية :35

- الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي (337هـ) ، تحقيق: د. مازن المبارك ، ط5 ، دار النفائس ، بيروت 1971.
- البحث العلمي في الاتصال، لارامي وفالي، ترجمة ميلود سفاري وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة ، ط 2 ، الجزائر، 2117.
- التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير سارة علواني. كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة ام الواقي الجزائر 2015.
- التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، ط1، دار المسيرة ، الاردن 1427هـ – 2007م .
التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتب الجديدة، الطبعة الثانية 2009م
- الجانب الروحي في اللغة العربية. د. حسن منديل العكيلي ، ط 1 ، دار الغرب ، بغداد 2004.
جوانب من النظرية اللغوية العربية في ضوء الدراسات الحديثة، د. هدى محمد صالح الحديثي، مجلة المجمع العلمي، المجلد 48 ، 1421هـ - 2000م.
الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح : د. محمد علي النجار ، ط4 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد 1990م .
-الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1985.
- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة ، حسن منديل حسن ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية.
- سيبويه إمام النحاة ، ناصف، علي النجدي عالم الكتب، القاهرة : (1979).
- الفهرست، لابن النديم (ت: 438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2 1417 هـ - 1997 م.
- قراءة النظرية اللسانية في التراث العربي بين المنظورين العربي والغربي، مراجعة وتعليق د. محمد عبد العزيز عبد الدايم .
-القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح ، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي 1986.
- علم أصوات العربية , محمد النوري واخرون , جامعة القدس المفتوحة , عمان ط 2 , 2003
- العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، تح : د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال للنشر (د، ت).
- كتاب التعريفات، العلامة علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، حققه وعلق عليه نصر الدين التونسي، الطبعة الاولى 2007م.
-الكتاب، ابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (180هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد ها رون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار غريب للطباعة1988.
-الكليات ، ابو البقاء الكفوي (1094هـ) ، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت1998.
- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور دار صادر بيروت.
- اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، مكتبة الانجلو المصرية 1958.
-اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان ، ط4 ، منشورات عالم الكتب، بيروت2004.
- اللهجات العربية فى غرب الجزيرة العربية، رابين، تشيم ترجمه وعلقه د. عبد الكريم مجاهد، ط 1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: (2002).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، اين هشام الانصاري (761هـ) ، تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998.
- مناهج التأليف عند العلماء العرب، 277.

- منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، موريس أنجرس: ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2116.
- نظرية العامل عند ابن الأنباري من خلال كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: هدى حمادي.
- نظريات الإعلام ، بسام عبد الرحمن المشاقبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2100 ، ص 97.
النظرية اللغوية في التراث العربي, أ.د محمد عبد العزيز عبد الدائم, دار السلام للطباعة والنشر, الطبعة الاولى 2006م.

الدوريات:

- جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي، مجلة 33- التراث العربي العدد85
ظواهر الاختلاف المنهجي في تأليف كتب غريب القرآن ، صلاح ساير فرحلن العبيدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج:14، ع:5،آيار 2،2017.
الخليل بن أحمد ا رئد علم الأصوات، أحمد محمد سالم ال ا زوي، مجلة كلية الأدب، القاهرة، العدد التاسع، ص 14.
النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، للدكتور عبده الراجحي، مجلة ثقافة اليوم، الرياض العدد 7123 ، السنة الرابعة والعشرون.

المواقع الالكترونية:

- موقع سطور.كوم:
https://sotor.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A
- موسوعة ويكيبيديا.
- موقع موضوع .كوم: https://mawdoo3.com /
- النظرية العلمية، أحمد أغبال http://sophia.over-blog.com/article-16416825.html